تفسير ابن كثير

يقول تعالى ناهيا عباده عن التجبر والتبختر في المشية { ولا تمش في الأرض مرحا } أي متبخترا متمايلا مشي الجبارين { إنك لن تخرق الأرض } أي لن تقطع بمشيك قاله ابن جرير واستشهد عليه بقول رؤبة بن العجاج : .

(وقاتم الأعماق خاوي المخترق ...) .

وقوله : { ولن تبلغ الجبال طولا } أي بتمايلك وفخرك وإعجابك بنفسك بل قد يجازى فاعل ذلك بنقيض قصده كما ثبت في الصحيح [بينما رجل يمشي فيمن كان قبلكم وعليه بردان يتبختر فيهما إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة] وكذلك أخبر الله تعالى عن قارون أنه خرج على قومه في زينته وأن الله تعالى خسف به وبداره الأرض وفي الحديث [من تواضع لله رفعه الله فهو في نفسه حقير وعند الناس كبير ومن استكبر وضعه الله فهو في نفسه كبير وعند الناس حقير حتى لهو أبغض إليهم من الكلب والخنزير] وقال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الخمول والتواضع : حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير حدثنا حجاج بن محمد عن أبي بكر الهذلي قال بينما نحن مع الحسن إذ مر عليه ابن الأهيم يريد المنصور وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي ويتبختر إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال : أف أف شامخ بأنفه ثاني عطفه مصعر خده ينظر في عطفيه أي حميق ينظر في عطفه في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بأمر الله فيها ولا المؤدي حق الله منها والله أن يمشي أحدهم طبيعته يتلجلج تلجلج المجنون في كل عضو منه نعمة وللشيطان به لعنة فسمعه ابن الأهيم فرجع يعتذر إليه فقال : لا تعتذر إلي وتب إلى ربك أما سمعت قول الله تعالى : { ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا } .

ورأى البختري العابد رجلا من آل علي يمشي وهو يخطر في مشيته فقال له : يا هذا إن الذي أكرمك به لم تكن هذه مشيته قال : فتركها ورأى ابن عمر رجلا يخطر في مشيته فقال : إن للشياطين إخوانا وقال خالد بن معدان : إياكم والخطر فإن الرجل يده من سائر جسده رواهما ابن أبي الدنيا وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا خلف بن هشام البزار حدثنا حماد بن زيد عن يحيى عن سعيد عن بحنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : [إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض] .

وقوله : { كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها } أما من قرأ سيئة أي فاحشة فمعناه عنده كل هذا الذي نهيناه عنه من قوله : { ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق } إلى هنا فهو سيئه مؤاخذ عليها مكروه عند الله لا يحبه ولا يرضاه وأما من قرأ سيئه على الإضافة فمعناه عنده كل

هذا الذي ذكرناه من قوله : { وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه } إلى هنا فسيئه أي فقبيحه مكروه عند ا هكذا وجه ذلك ابن جرير C